Studies in Spirituality - Weekly Torah Portions by Rabbi Lord Jonathan Sacks zt"l

# في رِحاب التّوراة

دِراساتٌ وحِواراتٌ روحانيّة مُعمّقة في النّصوصِ التّوراتيّة الأسبوعيّة مع الحاخام جوناثان ساكس

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University*

Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

**The Original text in English and translations to other languages can be found here:**
**Covenant & Conversation | Korach | Hierarchy and Politics: The Never-Ending Story | The Rabbi Sacks Legacy**

**"قورَح" هو النصُّ الأسبوعي الخامس من كِتاب "بَمِدبار" (أي سِفر العدد). يبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الأولى من المقطع السادس عشر ويَنتهي بِالآية الثانية والثلاثين من المقطع الثامن عشر.**

# السِّياسةُ وتَسَلسُلُ المَناصِبِ في أنظمةِ الحُكم: قِصةٌ لا نهايةَ لها

**Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO***

لقد كان صِراعاً كلاسيكياً اعتيادياً على السُّلطة، والأمرُ الوحيدُ الذي يُميز هذا الصّراع عن دراما الصراعات السياسية الاعتيادية التي تَحدثُ في أيّ بلاط ملكيّ أو في قاعات البرلمانات المُغلقة وأروقة صُنع القرار والسياسة هو أنه حَدَثَ في حديقة حيوانات برغرز في مدينة آرنم الهولندية، والشخصياتُ المُتصارِعة على الحُكم كانَت ذُكور الشّمبانزي.

وقد تطرّق باحث علم السلوك الحيواني الهولندي فرانسيسكوس دي ڤال إلى هذا الصراع وأجرى دراسة حوله تحمل عُنوان "سياسة الشَّمبانزي *(Chimpanzee Politics)*، [1] وهي إحدى الدراسات التي يُمكن اعتبارها مرجعاً في سياق الحديث عن مسألة الصراع على السُّلطة والحُكم. توضّح هذه الدراسة حالة المواجهة بين قرد شمبانزي يُدعى بِرُوين والذي كان مُهيمناً على بقية القطيع (الذكر ألفا تبعاً للاصطلاح العِلمي) من جهة، وبين قرد شمبانزيّ يافِع يُدعى لوي من جهة أخرى. حيث لم يكُن بمقدور لوي أن يطيحَ بِحُكم بيروين بمُفرده، لهذا شكّل تحالفاً برفقة قرد شمبانزي يافِع آخر يُدعى نيكي. وبنهاية المَطاف ينجحُ لوي في الإطاحة بيروين والسيطرة على مقاليد الحُكم.

وقد كان لوي يؤدي مهامه كقائدِ الشمبانزي على أكمل وجه، فقد حافظ على السّلم الأهلي داخل القَطيع، وكان نصيراً للمُهمّشين والمُستضعفين، لهذا حظي باحترام الجميع. كما لاحظت إناث الشمبانزي المهارات القيادية التي يتمتّعُ بها لوي، لهذا كانَت تُنظّفهُ وتلاطفه وتعتني به باستمرار، كما وكانَت تسمح له باللعب مع أطفالها الصغار. في المُقابل، نجدُ أن بيروين لم يكُن سيجَني شيئاً من مُعارضة حُكم لوي، فقد كان كبيراً في العُمر لدرجة لا تخوّله باسترجاع منصب الذّكر ألفا، لكن

بالرغم من ذلك فقد قرّر يروين الانضمام إلى القوّة التي شكّلها نيكي. لكن فجأة تنقلِب الأمور رأساً على عَقِب حين يقومان بمُباغتة لوي في إحدى الليالي وقتلِه، وهكذا نجحَ القائدُ المَخلوع في الانتقام مِمَّن أطاح به.

إن هذه القصّة تُذكّرني بقصة مُماثلة للحاخام هِلِل كنتُ قد قرأتها في المِشناه* في مقطع أڤوت (2:6)، حين رأى في أحدِ الأيام جُمجمة تطفو على سطح الماء، فقال وهوَ يُخاطِبها: "لقد غَرِقتَ لأنّك أغرقتَ غيرَك، ومَن أغرقوكَ سيكونُ مصيرهُم الغرقُ هُم الآخرون". واللافِتُ للنظرِ أن صراع قرود الشمبانزي يُشبه إلى حدٍ كبيرٍ الصراعاتَ بين البشر للسيطرة على مقاليد السُّلطة والحُكم، وهذا ما جعلَ النائِب الجمهوريّ والمُتحدث باسم البرلمان الأمريكي نيوت جنجريتش يضعُ دراسةَ فرانسيس دي ڤال هذهِ من ضمنِ خمس وعِشرين كتاباً أوصى الجيل الشابّ من نواب الكونغرس الجمهوريين الأمريكيين بقراءتها.[2]

وبِالعودة إلى النصِّ الأسبوعي من نصوصِ التوراة (والذي تطرّق إلى صِراعٍ مُماثل على السُّلطة) فإننا نجِدُ أن قورَح كان يحمل فِكراً سياسياً ميكافيليّاً بَحتاً، كونهُ أدركَ القواعد الأساسية الثلاثة لِلإطاحة بخصمِك، حيثُ ينبغي عليكَ **أوّلاً** أن تكتسِبَ شعبيّة بين أبناء قومِك من خِلال اللعبِ على وترِ حالةِ الغضبِ والسخط التي يشعرون بها، بحيثُ تجعلهُم يشعرون وكأنك تقفُ في صفّهم ضِد القائدِ الحاليّ. فقال مُخاطِباً موشيه/موسى وشقيقه أهارون/هارون: **"كفاكُما! إنَّ جميعَ القوم مُقدَّسونَ وفي وسطِهِم الله، فما بالُكُما تترفّعانِ على جماعةِ الله؟"**، تِبعاً لما تذكره الآية الثالثة من المقطع السادس عشر من سِفر العدد.

**أما القاعدة الثانية** فتقولُ بأنه ينبغي عليكَ أن تُقيمَ تحالفاً ضِدّ خَصمِك، وعلى الرغم من أن قورَح نفسه كان ينحدرُ من نسل اللاويّين إلا أن مصدر تذمّره وانزعاجه هو أن موشيه قام بتَنصيبِ أخيه أهارون ليَكونَ كبيرَ الكَهَنة، بالتالي بدا جلياً أن قورَح كان يعتقدُ بأنه هو مَن يستحِقّ هذا المنصب باعتباره ابن عمّ موشيه وأهارون (والد قورَح هو يتسهار شقيقُ عَمرام/عُمران والِدُ موشيه وأهارون)، ورأى أنه ليسَ من العدلِ أن تُهيمنَ عائلةٌ واحدةٌ على أهم منصبين قياديين لدى بني يسرائيل آنذاك.

لكن قورَح لم يكُن يحظى بذلك القدرِ من الدعم من قبل أبناء سِبطِه، سبطِ اللاويين، لأنهم لن يكسبوا شيئاً من الإطاحة بأهارون، لهذا لجأ قورَح إلى إقامة تحالفٍ مع مجموعةٍ أُخرى من بني يسرائيل الساخطين على هذا الوضع، وهُما داتان وأڤيرام واللذان ينحدِران من سبطِ الرؤوفيين (سبط روبِن)، بالإضافة إلى مئتين وخمسين شخصاً مِن عليةِ القوم، وهذا ما تُخبرنا به الآية الثانية من المقطع السادس عشر من السفر نفسه والتي تقول: **"يُقاومونَ موشيه مع قومٍ من بني يسرائيل، مئتان وخمسون رؤساء الجماعةِ"**. بالتالي كان يستغلُّ حالة الغضبِ والسخط التي شعرَ بها أبناء سبطِ رؤوفن لأنهم لم يحظوا بأي منصبٍ قيادي في المُجتمع رغم أنهم ينحدرون من نسلِ الابن البكرِ ليعقوف/ يَعقوب.

وتِبعاً لما يذكرهُ الحاخام ابن عِزرا فإن المئتين وخمسين رجلاً الذين ينتَمون لِعليةِ القومِ والذين تحالفوا مع قورَح كانوا ساخطين وغاضبين لأن قيادة مجتمع بني يسرائيل أصبَحت بيدِ سبطٍ واحدٍ من الأسباطِ الاثني عشر بعد حادثة العجل الذهبي، وهو سِبطُ اللاويّين لوحدهم. لكن بنهاية المَطاف لم يُكتب لهذا الانقلاب النجاح لأن أطماعَ المُشاركين فيه مُختلفة ولن ترضيهُم نتيجته مهما كانت. لكن ذلك لم يمنعهم أبداً من تكوين تحالفات آثمة، فالنّاقِمون والساخطون يُركّزون أهدافهم على الإطاحة بالنظام القائم والقائد الحالي أكثرَ من التركيز على التفكير بتنفيذِ خطّة عمليةٍ

---

***مُلاحظة توضيحية من المترجم:** كلمة مِشناه تَعني باللغة العبرية الدراسة من خلال التكرار ودراسة موضوع معين ومُراجعته. ويقصد بها اصطلاحاً أوّل مجموعة رئيسية مكتوبة للتقاليد والسير التوراتية الشفهية، وهي أول عمل رئيسي للنصوص الحاخامية. وتمت كتابة المشناه وتدقيقها وتنقيحها على يد الحاخام يهوداه هَنّسي في أرض يسرائيل بداية القرن الثالث بعد الميلاد، خلال حقبة زمنية شهدت اضطهاداً لليهود، ومرور الوقت خلال هذا الاضطهاد أدى إلى زيادة احتمالية اندثار السير والتقاليد التوراتية الشفهية التي تعود إلى عهد الهيكل اليهود الثاني (516 ق.م حتى 70م). وأغلب مُحتوى المشناه مكتوب بلغة عبرية خاصة بالمشناه، لكن بعضاً منها مكتوب باللغة الآرامية. وتنقسم المشناه لستة أجزاء (سداريم): زُراعِيم (الزراعة) الذي يتطرق للشرائع المتعلقة بأرض يسرائيل - موعيد (المواعيد) الذي يتطرق لشرائع الإجازات والأعياد والصيام - نشيم (النساء) الذي يتطرق لشؤون الأسرة والزواج والطلاق وغير ذلك... - نزيقين (الأضرار) الذي يتطرق للقوانين المدنية والجنائية والنظام القضائي اليهوديّ - قوداشيم (المقدسات) الذي يتطرق لشؤون الهيكل والمقدسات - طَهَروت (الطهارة) الذي يتطرق لشؤون الطهارة.

بنّاءةٍ للإصلاح، وتِبعاً لما يُخبرنا به الحاخامات فإنّ "الكراهية تهزِمُ العقلانية".[3] لهذا فإنّ شعورَ المرءِ بأن كرامته مُهانة وبأنه الأجدرُ بأن يحظى بشرفِ تولّي منصبٍ مُعيّنٍ هيَ أمور لها عواقبُ كارثيّة تقودُ إلى أفعالٍ تُدمِّرُ الذات، لكن هذه خِصلةٌ كانت ولا زالت تُميّزُ المُجتمعات البشرية منذ الأزل.

**أما القاعدة الثالثة** فهي اختيارُ لحظةِ الضعفِ لمَن تُريدُ الإطاحة به، وفي هذا السياق يوضح لنا الحاخام موشيه/موسى بن نَحمان بأن قورَح بدأ يتمرّدُ مُباشرة بعد قصّة العيون والقرار الذي تمّ اتّخاذهُ عقب ذلك، وهو أن الجيل القادِم هو الذي سيدخُل إلى أرض يسرائيل، وليس الجيل الحاليّ. وطالَما ظلّ شعورُ بني يسرائيل قائِماً بأنهم متوجّهون إلى تلك الأرض – رغم شكاويهم وتذمرهم الشديد – إلا أنه بنهاية المطاف لم يكن هنالك أي سبب واقعيّ يجعلهم يشاركون في تمرّد من هذا القبيل، بالتالي كان السببُ في مشاركتهم هو إدراكهُم بأنهم لن يعيشوا ليَعبروا نهر الأردن ويدخلوا أرض يسرائيل بعد ذلك القرار. بصريح العبارة، لم يعُد لديهم ما يخسرونه بعد الآن، بالتالي ما الذي يمنعُهم من المشاركة في هذا التمرّد؟

ومن هذا المُنطلق فإننا لا نجِدُ فرقاً كبيراً بين سياسة الشمبانزي وسياسة البشر عِندما يتعّلقُ الأمر بالحُكم والسُّلطة. وقد بيّنَت الديانة اليهودية بأن الكائنات البشرية هي مزيجٌ من النفس البهيمية (نيفِش بهيميت بالعبرية) والنفس الإلهية (نيفيش إلوهيت بالعِبرية) تبعاً لما جاء في كتاب زوهَر والذي يُعتبر من أبرز كُتُب التصوّف والقبالة اليهودية. فنحنُ البشرُ كائناتٌ لا ينفصلُ فيها العقلُ عن الجسَد، ذلك لأننا نمتلكُ غرائز جسديّة مُدوّنة في جينات كل إنسان.

ويتحدثُ العلماء في العصر الحالي عن ثلاثة أنظمة مُختلفة يتكونُ منها العقل: النظام الأول هو نظام "عقليّة الزواحِف" والذي يُعتبرُ مَسؤولاً عن ردودِ الفعل الأوّلية لأحداثِ الكرّ والفَرّ. والنظام الثاني هو نظامُ "عقليّة القِرد" والذي يُعتبر مسؤولاً عن الجانب الاجتماعيّ والعاطفيّ ومسألة تقبّل مسألة التسلسل في أي مَنظومة. والنظام الثالث والأخير هو "عقلية الإنسان" والمتمثل في الجبهة الأمامية للدماغ، ويتصف بأنه انفعاليّ وبطيء وقادر على التفكير في عواقب كل تصرّف من تصرّفاته. وهذا الأمرُ يُثبتُ بأن اليهود وغيرهُم آخرون من أمثال أفلاطون وأرسطو قد أدركوا هذا الحقيقة منذ وقت طويل، وأن مسرحَ حياة الإنسان هو نتاج لعملية التفاعل بين هذه العقليات الثلاثة.

ويوضح فرانسيس دي ڤال عبر صفحاتِ كتابه الأخير بأن "منظومة الحُكم بين قرود الشمبانزي تتخلّلُ جميع جوانب حياتهم". فبالنسبة لإناثِ الشمبانزي فإن مسألة الحُكم مُسلّمٌ بها وليسَت سبباً لاندلاع الصراع بينها على الإطلاق، لكنها السببُ لاندلاع الصراعات بين الذكور الذين يعتبرون أن "السُلطة قابلةٌ دوماً للانتزاع "، وبضرورة "القتال من أجل انتزاعها وحمايتها من الخصوم بكلّ قوّة". بالتالي فإن قرود الشمبانزي الذكور تُصنّفُ على أنها "من أتباع الفِكر السياسيّ الميكافيليّ" إن صحّ التعبير[4]، لكن السؤال الذي يطرحُ نفسه هُنا: ماذا عنّا نحنُ البشر، هل نندرجُ تحت هذا التصنيف أيضاً؟

في الحقيقة هذا ليسَ سؤالاً بسيطاً على الإطلاق، ويكادُ يكونُ أحد أهم الأسئلة التي يجبُ الإجابة عنها إذا أرادت البشرية أن تحافظ على وجودها مُستقبلاً. وهُنا يتّفِقُ علماء الأنثروبولوجيا (علم النوع الإنساني) بأن الإنسان البدائي القديم الذي عاش في حُقبة الصيدِ والالتقاط كان يعيش في حالةٍ من مُساواة بشكل عام، إذ كان لكلّ فردٍ دورٌ يؤدّيه في المجموعة، وكانَت مهمتهم الرئيسية هي البقاء على قيد الحياة وتجنّب الحيواناتِ المُفترسة. ولم يكُن تراكمُ الثروة في تلك الحقبة أمراً معروفاً بعد، لكنه ظهر مع تطوّر الانسان البدائي إلى مرحلة الزراعة والتجارة والتحضّر وبناء المدن، عِندها بدأت تظهرُ فكرةُ الأنظمة الحاكمة التي تحكمُ المُجتمعات البشرية. وعادةً كان يوجدُ حاكمٌ واحدٌ يتمتعُ بسلطة مطلقة لتلك المنظومة وتُحيطُ به نُخبةٌ حاكمة من المتعلمين، أما بالنسبة للشعب فكانَ يتم استغلاله ليُشكل القوة العاملة لبناء المُجتمع والجيشَ المتنفذ الذي يحمي نظام الحُكم.

ومن هنا تدخلُ الديانة اليهودية إلى هذا العالم لتعترضَ على هذه الهيكلية النمطية للمُجتمعات البشرية. وهذا ما سنراهُ في بداية أول مقطع من مقاطع التوراة حينما خلقَ اللهُ عز وجلّ الإنسانَ بصورتهِ**، بمعنى أننا نحنُ البشرُ نُشكّل جزئيات دقيقة ومتساوية من الكيان الإلهي العظيم. وقد تبادر إلى ذهن الحاخامات هذا السؤال الهام: لِماذا خلقَ اللهُ عز وجلّ آدم بمُفرده دون غيره؟ (بمَعنى لم يخلِق ذكراً آخر غيرهُ في البداية)، فيجيبُنا المشناه في مقطع سنهدريم (4:5) قائلاً: "حتى لا يقولَ أحدٌ كان جدّي أعظمَ من جَدِّك".

وهُنالك نبرةٌ تبدو فيها حالة المُساواة في كلامِ موشيه مع يهوشوع/يوشع بن نون حين قال له: **"هل تغارُ لي؟ ليتَ صار جَميع أمّة الله أنبياءً، وأن أجعلَ من روحه (نوره ونبوءته) عليهم"** تبعاً لما تذكر الآية التاسعة والعشرين من المقطع الحادي عشر من سفر العدد. في المُقابل، لن تتحقّق المثاليات ولا الأخلاقيات التي جاءت بها اليهودية بين ليلةٍ وضُحاها، هذه الأخلاقيات التي تتضمّنُ المُساواة والنباتية وإلغاء العبودية وغيرها، وربّما يستغرقُ تحقيقها قروناً طويلةً قد تمتدّ لآلاف السنين، خاصة وأن هذه المثاليات لم تتحقَّق بعدُ في الكثير من جوانب الحياة اليهودية.

وكلاهُما قادتا بنهاية المطاف إلى حالةٍ من التوتر والانقسام الذي لا مناصَ منه. كما ظلّت يسرائيل في عهد التناخ موجودة كمملكة موحدة لفترة ثلاث أجيال من الملوكِ فَقط[5]، ثم انقسمَت إلى مملكتين. كما كانَت منظومة الكهنة سبباً في خلقِ حالة الانقسام خلال فترة الهيكل اليهودي الثاني، وأدت إلى حالة انقسام طائفيّ بين اليهود الصدوقيين والبيتوسيين وباقي الطوائف الأخرى، وقِصّة قورح هي خيرُ مثالٍ يوضِحُ لنا بأنه أينما تواجدت منظومة للحُكم فإنها ستكونُ مصحوبة بحالةٍ من المنافسة على من سيتولّى منصِب "الذكر ألفا".

وهنالك سؤال يطرحُ نفسه هُنا: هل تُعتبرُ مسألة منظومة الحُكم أمراً حتمياً لا مناص منه في الحضارات البشرية؟ يبدو الحاخام موشيه/موسى بن ميمون وكأنه يوافقُ على حتمية ذلك، فمِن وجهة نظره تُعتبرُ منظومة الحُكم أداة إيجابية، وبأنها ليسَت مُجرّد امتياز لمن يجلس على عرشها. في حين أن الحاخام يتسحق أبرابانيل يختلفُ معه ويعترضُ على حتميّة وجود منظومة الحُكم في المُجتمعات البشرية، فهنالكَ نصوصٌ من كتاباته تشيرُ إلى أن نظام الحُكم الفوضوي الطوباويّ يقوم على فكرة عدم حُكم أي شخصٍ للآخر في العالم المثالي، وبأنه يجبُ علينا الاعتراف بمنظومة السيادة المُطلقة لله عزّ وجل وحدهُ.

وحينما نضعُ قِصة قورَح وقِصة فرانسيس دي فال التّي تُحاكي مسلسل (*House of Cards*) لكن بنسخة شَمبانزية[6]، فإننا نستنتجُ بأنه أينما وُجِدَت منظومة للحُكم فإنه سيُرافقها صراعات حول تولّي قيادة المنظومة أو منصبَ "الذكر ألفا"، ونتيجة ذلك تتلخّصُ فيما وصفهُ الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز بأنهُ "رغبةٌ أبديّة ومُتواصلةٌ للسعي وراءَ السُّلطة، وهي رغبةٌ لا يُنهيها سوى الموت"[7].

لهذا السبب لا يولي الحاخامات اهتماماً كبيراً لمنظومة الحُكم المَلَكية أو منظومة الكهنة (التاج) بقدر ما يولون اهتماماً للنقيضِ من تلك المنظومات ألا وهي منظومة تاج التوراة (والتي تعني دراسة التوراة وتعلمها واتباع تعاليمها)، هذه المنظومة التي يُمكن لأي شخصٍ أياً كان أن يتولى قيادتها، ولا تقود المنافسة فيها إلى الصراعات بل إلى المزيد من الحكمة[8]، بل حتى السماواتُ عندما ترى حينها الحاخامات وهُم يتنافسون ويختلفون في دراسة التوراة فإنها تقول لهم: "هذا الكلام وذاكَ الكلامُ هو كلامُ الله الحيّ" [9].

إن قِصة قورَح تُكرر نفسها في كل جيلٍ، والترياق الشافي لهذه الظاهرة يتمثّلُ في التعمّق في دراسة عالم التوراة الذي يُشكل بديلاً لمنظومات الحُكم تلك، لأن التوراةَ تسعى خلفَ الحقيقة ولا تَلهثُ وراء السُّلطة، كما أنها تطمحُ لأن تكونَ جميعُ أخلاقياتها ومُثُلها أصواتاً حاضرةً في الحوارِ المُقدّس في هذا العالم.

---

***مُلاحظة توضيحية من المترجم: التَّناخ** هي كلمة تختصرُ الحروف الثلاثة الأولى من كلمات "توراة، نڤيئيم، كتوڤيم"(أي التوراة والأنبياء والكتابات)، ويُقصد بكلمة تناخ الكتاب اليهوديّ المقدس الذي يضم أسفار التوراة الخمسة (سفر التكوين وسفر الخُروج وسِفر اللاويين وسِفر العدد وسِفر التثنية)، بالإضافة إلى أسفار الأنبياء (وهي ثمانية أسفار: سِفر يوشَع، وسِفر القُضاة وسِفر صموئيل الأول والثاني وسِفر المُلوك الأول والثاني وسِفر إشعياء وسِفر إرميا وسِفر حزقيال، وسِفر اثني عشر الأنبياء الاثني عشر الأواخر. ويُضاف لها أسفارُ الكتابات، والتي تضمّ الهاغيوغرافيا، أي كُتُب السيرة الخاصة بالكهنة وكبار الحاخامات والشخصيات العظيمة في الديانة اليهودية، والتي تضمّ أحد عشر كتاباً، وهي سِفر المزامير، وسِفر الأمثال، وسِفر أيوب، وسِفر روث (راعوث)، وسِفر نشيد الإنشاد، وسِفر الجامِعة، وسِفرُ مراثي إرميا، وسِفر أستير، وسِفر دانيال، وسِفر عِزرا ونحميا، والجُزء الأخير من التَّناخ يضم أسفارِ تدوين التاريخ. بالتالي يضمّ التناخ بين ثناياه أربعة وعشرين سِفراً (كتاباً).

1. المصدر: فرانسيس دي فال - (Frans de Waal, *Chimpanzee Politics* (London: Cape, 1982)
2. كُتبت هذه المقالة خلال الفترة اللاحقة للتصويت على خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي (المعروف بالبريكزيت)، حيث احتدّ الصراع على من سيتولّى زمام الحُكم في بريطانيا بين الحزبين الرئيسيين فيها. لكني أترك المجال أمام القارئ ليتخيّل أي مثال آخر للمنافسة بين طرفين كمثالٍ على قصة قورَح أو قِصة سياسة الشمبانزي.
3. المصدر: Bereishit Rabba 55:8
4. (Frans de Waal, *Are We Smart Enough to Know How Smart Animals Are?* ((New York: Norton, 2016), 168
5. عقب التصويت على خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي كان هنالِكَ سؤال مطروح بجدية على الطاولة حول ما إذا كانت ستظل المُملكة المتحدة، مُتحدةً فعلاً.
6. المصدر: Michael Dobbs, *House of Cards* (New York: Harper Collins, 1989)
7. المصدر: Thomas Hobbes, *Leviathan* (1651), pt. 1, ch. 11
8. المصدر: Bava Batra 21a
9. المصدر: Eruvin 13b; Gittin 6b

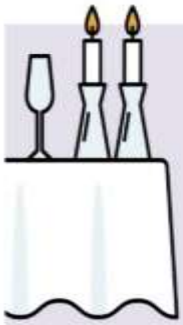

## حَولَ مائِدةِ يومِ السّبتِ المُقَدَّسِ: أَسئِلةٌ لِلتَّأَمُّلِ

1- لماذا تعتقد بأن بعض القادة يهتمون فقط بسلطتهم ونفوذهم؟
2- ما هي الأمور التي تصنع القائد الصالح؟
3- كيف كان "تاج التوراة" ترياقاً لمعضلة تسلسل المناصب وهرمية السلطة؟

● These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full edition at **https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/korach/hierarchy-politics-never-ending-story/**

**Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO***
**Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism*, *Bar Ilan University***